

التهيئة وإعداد المجالات الصحراوية وشبه الصحراوية "شجرة الطلح ذهب الصحراء الأخضر"



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

مولاي هشام ازكان

د. جمال الكركوري

اكرام الجراري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقطنة

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٦ مارس ٢٠٢٤م

الكلمات المفتاحية: أشجار الطلح، الذهب الأخضر،
سوسيو-اقتصادية، الاجتثاث، الرعي العشوائي.

Abstract

Acacia trees, or as they are called locally as "Sidra" or "Green Gold", are an ecological wealth of socio-economic importance in the region, which must be preserved and protected from manifestations of excessive exploitation by humans and animals alike. his natural wealth in the southern regions is exposed to uprooting and cutting by man to meet his needs of firewood and converting it into charcoal, as well as to random grazing pressure that puts an end to the growth of shrubs and prevents the germination of seeds, and this tree is considered one

الملخص

تعد أشجار الطلح أو كما يسمى محلياً بـ "السدرة" أو "الذهب الأخضر"، ثروة إيكولوجية ذات أهمية سوسيو-اقتصادية بالمنطقة، يتعين المحافظة عليها وحمايتها من مظاهر الاستغلال المفرط من قبل الإنسان والحيوان على حد سواء. وتعرض هذه الثروة الطبيعية في الأقاليم الجنوبية للاجتثاث والقطع من طرف الإنسان لتلبية حاجياته من الحطب وتحويله إلى فحم وكذا للضغط الرعوي العشوائي الذي يضع حداً لنمو الشجيرات ويجول دون إنبات البذور، وتعتبر هذه الشجرة من أهم العوامل التي تساعد على إعادة الحياة الطبيعية وذلك نظراً لعدة خصائص تتمتع بها، ذلك أن جذور الطلح تغوص في الأرض لمسافات طويلة مما يساعدها في مقاومة الجفاف عدة سنوات متتالية.

résister à la sécheresse pendant plusieurs années consécutives.

Motsclés: acacias, or vert, socio-économique, éradication, pâturage aléatoire.

* مقدمة

تعتبر شجرة الطلح من أهم الموروثات على المستوى الاقتصادي، العلاجي، والبيئي، كما أنها من الأشجار التي تقاوم الظروف الصحراوية القاسية. فعلى مساحات تقدر بألف هكتار من الأراضي شبه الصحراوية، تنتشر العديد من أصناف الأشجار المختلفة، التي كان القدماء يستخرجون منها بعض الأدوية التقليدية، إلى جانب باقي الأعشاب الأخرى، التي تعرف بها هذه المناطق، ولعل من بين هذه الأشجار المنتشرة بكثرة في، شجرة الطلح أو "السنط"، كما كان يسميها العرب قديما، وهي شجرة معمرة، قادرة على تحدي الجفاف والتصحر سنوات طويلة.

تقتضي الدراسات الجغرافية المرور عبر عدة مراحل سواء على المستوى البيولوجي أو على مستوى الأبحاث الميدانية وكذلك الجانب التقني، من أجل رؤية شاملة الأبعاد تختزل في طياتها الركائز الأساسية للبحث الجغرافي، لذا سنعمد في هذا المقال على الخطوات المنهجية التالية:-

١- العمل البيولوجي: (الاطلاع على الدراسات والأبحاث التي لها صلة بموضوع البحث)

٢- البحث الميداني: (ملء الاستمارات والمقابلات)

٣- العمل التقني: (فحص وتحويل المعطيات المحصل عليها من البحث امليداني إلى رسوم بيانية وخرائط)

إن الموضوع المدروس يقع ضمن جهة العيون الساقية الحمراء على هضبة (لحمادة). وليست بما تضاريس

of the most important factors that help restore normal life, due to several characteristics. Enjoy it, because the roots of acacia go deep into the ground for long distances, which helps it to resist drought for several consecutive years.

Keywords: acacia trees, green gold, socio-economic, eradication, random grazing.

Résumé

Les acacias, ou comme on les appelle localement "Sidra" ou "Or vert", sont une richesse écologique d'importance socio-économique dans la région, qui doit être préservée et protégée des manifestations d'exploitation excessive par les humains et les animaux. Cette richesse naturelle des régions méridionales est exposée à l'arrachage et à la coupe par l'homme pour subvenir à ses besoins en bois de chauffage et à sa transformation en charbon de bois, ainsi qu'à une pression de pâturage aléatoire qui met un terme à la croissance des arbustes et empêche la germination des graines, et cet arbre est considéré comme l'un des facteurs les plus importants qui aident à rétablir une vie normale, en raison de plusieurs caractéristiques. Profitez-en, car les racines de l'acacia pénètrent profondément dans le sol sur de longues distances, ce qui l'aide à

وعرة كثيرة. ماعد المجاري التي حفرتها الأودية، ومنخفضات "السيخات".

يتميز مناخ الجهة بقحولة حادة، وبندرة التساقطات، كما أن تأثير القرب من المحيط الأطلسي ليس له أثر إلا في الشريط الساحلي. أما بقية المنطقة، فتزداد بقحولة كلما توغلنا داخل الجهة¹. أما درجات الحرارة المتوسطة، المسجلة في هذه الجهة، فتتغير حسب الفصول. ففي الشتاء، تتراوح درجة الحرارة المتوسطة ما بين 10 و11 درجة أما في الصيف فتبلغ 47 درجة، وبالنسبة للأمطار فإنها تتأثر بالتقلبات الجوية للمحيط الأطلسي. فهي نادرة جدا ولا تتجاوز 60 ملم في السنة. كما أن التساقطات لا تستمر إلا مدة قصيرة. كما انها غير منتظمة وعنيفة وعاصفية. تتعرض هذه الجهة للرياح وللعواصف الرملية.

* على مستوى المياه

يعتبر المجال المدروس جافا، ولا توجد بها مجاري مائية دائمة التدفق، باستثناء فيضانات دورية للأودية مثل الخط، اساق، لكرع، شلوا، الفايز، اويليتيس، وبالخصوص واد الساقية الحمراء، الذي شيد عليه سنة 1995، سد الساقية الحمراء، من اجل احتزان مياه الفيضانات. وتصل سعته إلى 110.000.000 م³ وعلوه إلى 15م. فاللجوء إلى الموارد الجوفية يعد ممارسة قديمة بالمناطق الجافة، فهي نقط التقاط مربي الماشية والرحل فيما بينهم حول الآبار. إن ندرة المياه العذبة في هذه الأوساط الجافة تشهد لصالح اقتصادها، الذي

يمر أيضا عبر محاربة التبذير، بما أن الماء هو مورد وغير قابل للتجدد.

رغم الجهود المبذولة من طرف الدولة، فإن الماء يزداد ندرة، كلما تطورت الساكنة والتعمير والصناعة والفلاحة بطريقة عشوائية، وهو الشيء الذي سيؤدي في المستقبل القريب إلى نقص خطير، سيتضح عندما تتجاوز الحاجيات الاحتياطيات المحدودة للجهة. سيصبح الماء مشكلا مقلقا بشكل دائم في هذه المنطقة الجافة². إن هذه الفرشات المائية الأكثر تعرضا للاستغلال في هذه الجهة. كما أن أغلبها شديد الملوحة، بنسب تتراوح ما بين 2 غ/ل و9 غ/ل، وتشكل هذه الفرشات المائية أهمية كبرى بالنسبة للموارد للجهة ككل. كما أن إمكانية هذا المورد موزعة على 9 فرشات مائية، وتتراوح جودة المياه نسبيا من فرشة إلى أخرى، ولكن فرشة فم الواد هي الفرشة الواحدة ذات المياه العذبة المتواجدة في الجهة. إن هذه الفرشة التي تستغل للسقي ولتزويد مدينة العيون بالماء الصالح للشرب قد ظهرت قرب مصب واد الساقية الحمراء وتحت التلال الرملية، وتغطي مساحة قدرها 90 كلم²، وتتغذى هذه الفرشة عبر واد الساقية الحمراء الذي يصرف كل خمس سنوات حجما مهما من مياه الفيضانات.

أما فيما يخص الفرشة العميقة فهي تغطي الجزء الغربي من الأقاليم الصحراوية العيون بوجدور الداخلة الخ... (على مساحة تقدر ب 90.000 كلم² وتستغل في جماعات الحكونية الدشيرة وبوكرع عن طريق التنقيب، ويتراوح

² عبد العزيز فعرس، الماء والتنمية الحضارية في المجال الصحراوي، حالة مدينة العيون الساقية الحمراء. بحث الدكتوراه.

¹ عبد الكبير الناوي، ناجية وردى، فاطمة الكرز بحث الماستر "دراسة مناخية لمحطتي العيون والواحة سنة 189 90.

المحور الأول: أهمية شجرة الطلح في بالصحراء والقيمة الايكولوجية

تعتبر شجرة الطلح من الأشجار التي تنتشر في أجزاء واسعة وتنتمي إلى الطبقة البيومناخية الجافة والصحراوية مع درجة حرارة معتدلة إلى حارة. وترمز شجرة الطلح منذ القدم إلى الصحراء، كما ارتبطت بحياة الرحل لانتشارها بشكل كبير في مناطق صحراوية لكونها تتحمل قساوة الظروف المناخية التي تمتاز بها مناطق عديدة (موطن هذه الشجرة) في الجنوب الشرقي والأقاليم الجنوبية وتعرف لدى سكان، بسبب انتشارها في الصحراء، فهي تتحمل قساوة الظروف المناخية والتصحر، فضلا عن كونها قادرة على تحمل الجفاف، الذي تمتاز به المناطق المتواجدة بها، منذ بداية سبعينيات القرن الماضي.

وتعتبر هذه الشجرة، التي ذكرها الله عز وجل في سورة الواقعة (الآية 29)، حيث قال فيها سبحانه وتعالى: “وَطَلْحٍ مَّضُودٍ”، من بين الأشجار التي يعتمد عليها الرحل لرعي مواشيهم في صحراء قاحلة وحارقة، الأمر الذي جعلها ترتبط بحياتهم اليومية. ولهذه الشجرة أشواك طويلة، وهي ذات أزهار صفراء وبيضاء بداخلها بذور، ولها أيضا ثمار على شكل “هلال”، وهي تسقى من مياه الأمطار.

فشجرة الطلح من أكثر النباتات تحملاً للظروف البيئية الصعبة، حيث تتسم بالجلد وتحمل العطش لفترات طويلة، وتروى من مياه الأمطار، وتنتشر أشجار الطلح في جميع أنحاء العالم، حيث تتواجد بأكثر من 160 نوع فهي الكلاً الأساسي للأغنام والماشية والإبل، كما يعتبر اللبن المحلوب من الإبل والأغنام التي تتغذى على الطلح من أفضل

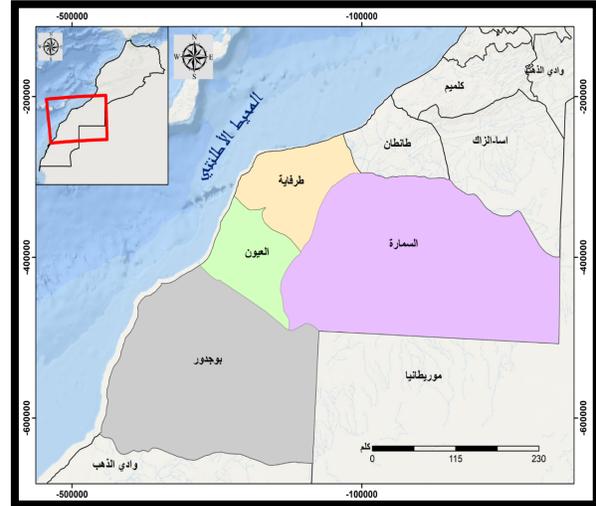
عمقها ما بين 500 و750م، وتصل ملوحة الماء المستخرج منها إلى 2. غ/ل.

من الناحية الترابية، لا تتوفر الجهة إلا على مساحات ضعيفة قابلة للزراعة وتوجد بالأساس في الغرارات، بسبب تقلص التربة الصالحة للزراعة في المناطق الصحراوية.

تعتبر هذه المساحات مهددة بزحف الكثبان الرملية، وبالتعرية الريحية، كما أن هذه الأخيرة تؤثر بشكل كبير على الغطاء النباتي بسبب الاستغلال المفرط للغرارات وكذلك بسبب الاحتثاث. إن ندرة الأراضي الصالحة للزراعة جعلت الفلاحة متقلصة في هذه الجهة، بحيث لا يمكنها أن تلعب الدور الهام الذي تلعبه في الجهات الأخرى.

ما هي أهمية شجرة الطلح بالصحراء وما القيمة الايكولوجية والسوسيو اقتصادية؟ وما هي أهم المشاكل التي يعرفها شجر الطلح؟

خريطة رقم 1 توطين مجال الدراسة على المستوى جهوي



في إعداد الشاي، إلا أن الجفاف والتصحر، اللذين بدأت تشهدهما هذه المناطق في السنوات الأخيرة، وكذا العوامل البشرية، ساهمت في بداية انقراض هذه الأشجار أمام أعين مسؤولي السلطات المحلية، والمندوبية السامية للمياه والغابات، الذين لم يولوا أي أهمية لهذا النوع من الأشجار، الذي لا يزال يتمتع بأهمية كبيرة في الموروث الشعبي بالجنوب الشرقي، خصوصا على المستوى البيئي والدوائي والاقتصادي.

إن النباتات والحيوانات التي تعيش في الصحراء بحاجة لتكيفات خاصة من أجل البقاء حية في بيئة الصحراء القاسية. فالنباتات تميل إلى أن تكون ذات قدرة تحمل قوية وأوراقها سلكية الشكل وصغيرة الحجم وفي بعض أنواعها تخلو من الأوراق، وتكون ذات طبقة مقاومة للماء، وغالبا ما تحوي على أشواك لردع الحيوانات العاشبة عن أكلها. وإن بعض النباتات السنوية تنبت في الصحراء، وتزهو وتموت في غضون بضعة أسابيع بعد هطول الأمطار، في حين أن غيرها من النباتات المعمرة قادرة على البقاء على قيد الحياة لعدة سنوات بفعل جذورها العميقة القادرة على الاستفادة من الرطوبة في باطن الأرض. أما الحيوانات فتحتاج للحفاظ على برودتها وإيجاد ما يكفي من الغذاء والماء للبقاء على قيد الحياة. فكثيرة من الحيوانات ليلية النشاط، أو تبقى في الظل، أو تهرب لأماكن تحت سطح الأرض أثناء حرارة النهار.

أما العنصر البشري فقد ناضل للعيش في الصحاري والأراضي الشبه القاحلة المحيطة بها لآلاف السنين، فتنقل البدو وقطعانهم إلى أي مكان لرعي حيواناتهم، كما وفرت فرص وجود الواحات وسيلة حياة أكثر استقراراً.

إن استصلاح المناطق الشبه القاحلة يزيد من تآكل التربة وهي واحدة من أسباب زيادة التصحر. أما زراعة

أنواع الألبان، وأغلاها قيمة غذائية، كما أنها تعتبر من فصيلة البقوليات والبازلاء. تعد شجرة الطلح بديلاً طبيعياً للمراوح ومكيفات الهواء، وذلك لإستخدام البعض لها كمظلات، حيث يجلسون تحت ظلها للهروب من حرارة الشمس، حيث أنها مصدر رائع للبرودة، كما تتميز أزهار شجرة الطلح بالرائحة العطرية الطيبة. كما أنها تعد الملجأ المناسب لكثائر الحيوانات البرية، مثل الغزلان، وتقوم هذه الأشجار بتقية الجو من الرمال والأتربة، كما تساعد أشجار الطلح في عدم انتشار التصحر، كما تعمل على التقليل من ظاهرة التبخر.

ولهذه الشجرة المعمرة، حسب العديد من الرحل الذين التقيت بهم خلال جولتنا الاستطلاعية لبعض المناطق، عدة فوائد في الحياة اليومية للإنسان، حيث كان الأجداد يستعملون أخشاب هذه الشجرة في سقف منازلهم المشيدة بالطين والحجر، للاحتماء من البرد القارس في فصل الشتاء، واتخاذ ظلا في فصل الصيف. كما أن أزهار شجرة الطلح تعتبر من مصادر غذاء النحل، ويعد عسلها من أجود أنواع العسل لفوائده الصحية الكثيرة.

كما أن للصمغ الذي تنتجه أشجار الطلح فوائد كثيرة لعلاج مجموعة من الأمراض الباطنية والخارجية، وكذا أمراض الضغط الدموي وصداع الرأس والفشل الكلوي، بالإضافة إلى فوائده الصحية التي تشبه الوصفات الطبية. كما يعتبر الصمغ أو العلكة كترًا ظل على مدى عقود من الزمن يدر الأموال على الباحثين عنه وأصحاب المحلات الخاصة ببيع الأعشاب الطبية، إذ يصل ثمن الكيلوغرام الواحد من الصمغ المستخرج من شجرة الطلح ما بين 60 و80 درهماً.

إلى جانب ما ذكرناه من فوائد العلكة أو الصمغ العربي، فإن العديد من الأسر بالإقليمين المذكورين تستعمله

المحور الثاني: الأهمية السوسيو اقتصادية لشجرة الطلح

نظرا لأهمية شجرة الطلح في الموروث الشعبي الصحراوي على المستوى البيئي والدوائي والاقتصادي، تستوجب التعريف بهذه النبتة الصحراوية الأصلية وأهميتها، وما تعرفه من تحدي البقاء في مواجهة الطبيعة الصحراوية القاسية، وكذا ما يهدد وجودها نتيجة الاستعمال العشوائي وغير المعقلن.

تنتمي أنواع الطلح إلى القبيلة الطلحية mimoseae، ويشمل جنس الطلح Acacia حوالي 600 نوع منتشرة في أنحاء العالم وأكثرها في أستراليا والمناطق المدارية من العالم. وتبلغ مساحة أشجار الطلح بالمغرب 1,264,800 هكتار، إلا أن كثافتها لا تتعدى 60 شجرة بالهكتار الواحد، ويعتبر الطلح الصحراوي أهم مكونات البيئة النباتية بالمنطقة. حيث يمتد من منطقة الريصاني إلى الداخلة والسفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصغير³.

يعرف عن هذه الشجرة صبرها وجلدها على قيظ الصحراء والعطش والجفاف، وهي من الأشجار الصحراوية القوية التحمل والمعطاءة، فهي تساهم بشكل رئيسي وفعال في توفير الكالأ للماشية وهي تشكل جوهر المراعي للإبل والغنم، واللبن المحلوب من النوق الراعية للطلح من أفضل الألبان وأغناها صحة وطعماً. كما أنها بديل لجهاز التكييف، فهم يجلسون تحت ظلها في حرارة الشمس الحارقة بحثاً عن

الصحراء ممكنة في حالة وجود نظام للري وإن وادي امريال في كاليفورنيا هو خير دليل لكيفية زراعة أرض جرداء من خلال جلب المياه من مصدر خارجي.

يقسم الصحراويين الطلح إلى نوعين يسمى الأول "الفركيك" وهو الطلح ذو البنية الضعيفة أو الهزيلة بينما نجد النوع الثاني وهو "آجمار" له بنية قوية ومتينة كان الصحراويون قديماً يصنعون من هذا النوع من الطلح مجموعة من الوسائل والأدوات اليدوية التي يستعملها البدوي في حياته اليومية ومن أمثلة ذلك الآلة الموسيقية (المزمار) أو ما يعرف محلياً «بالكصبة» أو «النيفارة»، وتصنع منه كذلك العصي و"الكدحة" (جيرة خشبية) كما تصنع الحبال من قشور الأغصان التي تسمى "تبلت".

تعتبر هذه الشجرة من أهم العوامل التي تساعد على إعادة الحياة الطبيعية وذلك نظراً لعدة خصال تتمتع بها، ذلك أن جذور الطلح تغوص في الأرض لمسافات طويلة مما يساعدها في مقاومة الجفاف عدة سنوات متتالية كما تتصدى أغصانها الشائكة بكل قوة للرياح الرملية العاتية وتضع بذلك حداً لزحف الرمال، أما وريقات هذه الشجرة بتركيبها تحد من التبخر وتقاوم التحجف. وتساهم القواضم والنمل عند جمع هذه الأوراق واستهلاكها في خلق طبقة غنية بالأسمدة العشبية من إعادة كسائها في مرحلة أولى تتبعها النباتات المعمرة والأشجار.

³. بناني عثمان، حول صحراء المغرب بين الماضي والحاضر، مؤلف الأقاليم الجنوبية المغربية: البيئة و المجتمع و آفاق التنمية، منشورات الجمعية المغربية للجيومرفولوجيا، 2006.

البرودة، فشجر الطلح يمتاز ببرودة لا مثيل لها، كما أن أزهار الطلح تفوح برائحة عطرية جذابة وقوية كما تشكل الملجأ والمخبأ المثالي لتكاثر الحيوانات البرية الأصيلة مثل الظباء والغزلان، وتشكل كذلك حواجز بيولوجية تحدد من التصحر وزحف الرمال وتقوم بدور فعال في تنقية الجو.

فنباتات الصحراء xerophytes، هي نباتات مكيفة للحياة في بيئة تفتقر للكيمياء المتوسطة أو الكافية للمياه، مثل الصحاري. قد تكون النباتات الصحراوية ذات أشكال (مورفولوجيا) مكيفة أو وظائف خارجية (فسيولوجيا)، لتقليل فقدانها للماء أو لتخزين الماء لفترات طويلة لاستخدامه وقت الجفاف. تسمى النباتات التي تمتلك هذه التكيفات المورفولوجية بالنباتات الصحراوية المكيفة مورفولوجياً xeromorphic.

قد تبدو الصحاري مجافية للحياة والأحياء. لكن بعض الكائنات الجلدة من نبات وحيوان تتجاوز هذا الجفاء بما لها من قدرة على العيش بالقليل القليل من الماء. فالنباتات الصحراوية، كغيرها من النبات، لا تستغني عن الماء لتنمو وتتكاثر. وهي تجابه ندرة الماء بتكيفات متباينة. فبعض هذه النباتات ذو جذور طويلة جداً تمتد إلى تربة الأعماق الطبة. وبعضها الآخر تنتشر جذوره في شبكة على مقربة من السطح بحيث تتلقى القدر الأقصى من الماء حين تمطر.

تنقسم نباتات الصحاري إجمالاً إلى نوعين: المعمرة والسريعة الزوال. فالمعمرة تدوم من سنة إلى أخرى - وهي مكيفة للحفاظ على الرطوبة بسيقاها الرطبة وأوراقها الشمعية. وغالباً ما تكون مجهزة بأشواك واقية ترد حيوانات الرعي عنها.

أما السريعة الزوال فتنمو بين فنية وأخرى تطول أو تقصر. وتستطيع بزور هذه النباتات البقاء كامنة في التربة عدة سنوات أحياناً، وحين يهطل المطر تنبعث إلى الحياة، فتنمو وتزهو وتبزر قبل أن تحف التربة - وقد يتم لها ذلك في أقل من ثلاثة أسابيع.

* أنواع الطلح

يقسم الصحراويين الطلح إلى نوعين يسمى الأول "الفركيك" وهو الطلح ذو البنية الضعيفة أو الهزيلة بينما نجد النوع الثاني وهو "آجمار" له بنية قوية ومتينة كان الصحراويون قديماً يصنعون من هذا النوع من الطلح مجموعة من الوسائل والأدوات اليدوية التي يستعملها البدوي في حياته اليومية ومن أمثلة ذلك الآلة الموسيقية (المزمار) أو ما يعرف محلياً "بالكصبة" أو "النيفارة"، وتصنع منه كذلك العصي و"الكدحة" (حجرة خشبية) كما تصنع الحبال من قشور الأغصان التي تسمى "تبليت".

كما تتصدى أغصانها الشائكة بكل قوة للرياح الرملية العاتية وتضع بذلك حداً لزحف الرمال، أما وريقات هذه الشجرة بتركيبها تحدد من التبخر وتقاوم التحف. وتساهم القواضم والنمل عند جمع هذه الأوراق واستهلاكها في خلق طبقة غنية بالأسمدة العشبية من إعادة كسائها في مرحلة أولى تتبعها النباتات المعمرة والأشجار.

* فوائد الطلح العلاجية والغذائية

لقد استعمل البدو الرحل عبر الزمان أجزاء شجرة الطلح في علاج مختلف الأمراض الباطنية والجلدية، فأزهار الطلح مغذية للنحل ويعتبر عسل النحل المستخرج من أزهار الطلح من أجود العسل المستخرج في العالم لما له من فوائد

* الخصائص الايكولوجية والفوائد

تعتبر هذه الشجرة من أهم العوامل التي تساعد على إعادة الحياة الطبيعية وذلك نظراً لعدة خصائص تتمتع بها:-

- 1- تساهم بشكل كبير وفعال في توفير الكلاً للماشية وهي تشكل جوهر المراعي (المعز، الإبل...).
- 2- جذورها تغوص في الأرض إلى عمق يتراوح في بعض الأحيان 40 متراً مما يساعدها في مقاومة الجفاف عدة سنوات متتالية كما تنصدي أغصانها الشائكة بكل قوة للرياح الرملية العاتية وتضع بذلك حداً لرحف الرمال.
- 3- تساهم بشكل كبير في تزويد الساكنة المحلية بحاجياتهم المتزايدة من الحطب اليابس.
- 4- تساهم في الحفاظ على الثروات المائية الجوفية.

يستعمل العلك المستخرج من الشجرة في بعض الأدوية الطبية والتجميلية والمشروبات الغازية. كما أن الخروب (بذور الطلح) متداول لدى الساكنة المحلية كمشروب له القدرة على تطهير المعدة والأمعاء وقتل الديدان وإزالة التهابات البواسير ولعلاج حالات الحمى والتلات الصدرية والإسهال. كما تفيد الدراسات أن اللبخات الدافئة لمسحوق الثمار فعال ضد الكثير من الأمراض الجلدية وقروح وتشقق أصابع القدمين. أما أزهار الطلح (إينيش) مغذي للنحل ويعتبر عسل النحل المستخرج من أزهار الطلح من أجود عسل العالم لما له من فوائد صحية كثيرة. كما أن هذا الشجر يمتاز ببرودة لا مثيل لها، وهو بالنسبة إلى الصحراويين في حرارة الشمس الحارقة بديل لجهاز التكييف.

وقديماً مرت العديد من طرق التجارة عبر الصحاري، وخاصة عبر الصحراء الكبرى، وتقليدياً كانت تستخدم من قبل قوافل الجمال التي تحمل الملح والذهب

صحية كثيرة. فأوراق شجرة الطلح أو ما يسميه الصحراويون “ورك الطلح” له فوائد كثيرة أهمها الخصائص العلاجية التي أثبتت التجربة دورها الفعال في علاج العديد من الأمراض خاصة الجهاز الهضمي والمعدة، والإسهال حيث تجمع الأوراق ويتم تحفيفها بعد ذلك تدق أو تطحن لتصبح مسحوقاً يتم إضافته إلى الماء المغلي ويشرب.

الصمغ العربي أو العلك: هو أيضاً يمكننا اعتباره من ثمار شجر الطلح وله الكثير من الفوائد العلاجية كذلك إذ يستعمله الإنسان الصحراوي في علاج التسمم بإضافته إلى الماء المغلي، ويستعمل الصمغ العربي كذلك لعلاج داء أكندي — مرض محلي — حيث يسحق العلك مع السكر، ويستعمل كذلك العلك لعلاج الجروح حيث اكتشف أن هذه المادة ومدى فعاليتها في تضييد الجروح، وله أيضاً جوانب جمالية حيث يضيفي جمالية وبهاء للشاي بوضعه في أحد الكيسان ليعطي رغبة تضيي جمالية على الشاي.

الخروب: هو أيضاً من ثمار شجر الطلح وهو عبارة عن غلاف يحمل بداخله حبات تعتبر بذور الطلح، له كذلك فوائد صحية علاجية باستعماله لعلاج المعدة، ويعتبر أكلة لذيدة بالنسبة للماشية خصوصاً عندما يجف ويتساقط من أغصان الطلحة.

أنيش: يعتبر أنيش زهرة الطلح له رائحة طيبة بحيث يعطي للواد الذي يكثر فيه الطلح المزهرة رائحة زكية تجعل الإنسان لا يبغى مفارقة الوادي لرائحته العطرة وهو أيضاً (أنيش) أكلة مفضلة بالنسبة للمواشي.

والعاج وغيرها من السلع. وكذلك أخذت أعداد كبيرة من العبيد شمالاً عبر الصحراء.

وتتمتع بعض الصحاري بألوان كثيرة نتيجة احتوائها لمعادن مختلفة فتكسيبها ألوان متعددة ومن أمثلة تلك الصحاري الصحراء المرسومة (أريزونا) والصحراء المرسومة (جنوب أستراليا).

وتستخرج المعادن من بعض الصحاري الغنية بها، كما أن غناها بأشعة الشمس جعلها مصدراً مهما لاستغلال الطاقة الشمسية عن طريق الألواح الشمسية.

إن لأشجار الطلح فوائد كثيرة بالأقاليم الجنوبية حيث تستخدمها الساكنة المحلية في المجال الصحي كمداداة بعض الأمراض أبرزها "أكندي" وهو مرض يتولد عن الإفراط في تناول مواد حامضة أو مملحة وكذا بعض الأمراض المرتبطة بالجهاز الهضمي "أمراض الجوف".

إضافة إلى أن قشور هذه الشجرة وثمارها التي تدعى محلياً بـ "الخروب" تستعمل لذات الغاية وأن إفرازاتها التي تسمى بـ "الملك" يستعمله السكان المحليون في تحضير الشاي الصحراوي.

المحور الثالث: المشاكل التي يعرفها شجر الطلح وأهم الحلول المقترحة

الطلح، الشجرة التي ترمز للصحراء والسفانا الإفريقية، بتاجها المظلي المميز، وبقامتها الفارعة والشامخة وقدرتها الهائلة على البقاء. شجرة ارتبطت بالموروث الصحراوي وبجياة الإنسان البدوي في حله وترحاله، رمزاً للبيئة الصحراوية والأصالة البدوية، إلا أن يد الإنسان وتقلبات

المناخ ساهمت في أن تضيق مساحة كبيرة مرتبطة بهذه الشجرة في بيئتها الأم.

يعد القطع الجائر من طرف الإنسان سبباً رئيسياً في نذرة شجر الطلح، فقد أصبح تحويل أشجار الطلح إلى فحم (التفحيم) عملاً رئيسياً لبعض الشباب العاطلين بالمنطقة بسبب الطلب المتزايد على هذه المادة من قبل الناس نظراً لجودته واستعماله في تحضير الشاي الذي يعتبر تناوله عادة يومية بأقاليمنا الجنوبية.

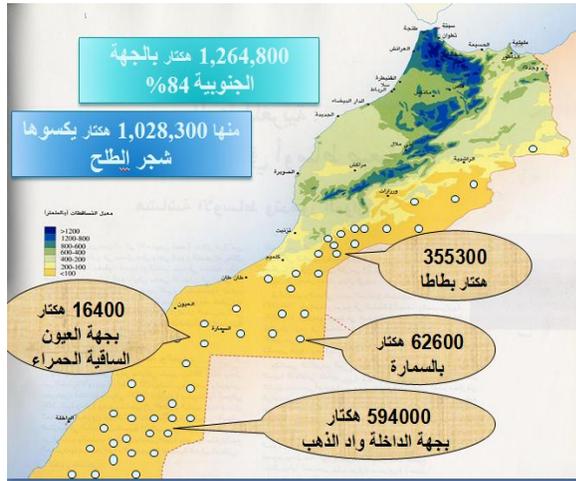
ومن التحديات أيضاً التي تواجه بقاء شجر الطلح بالمنطقة، تعاقب سنوات الجفاف، وقلة التجديد الطبيعي والرعي المفرط الذي يضع حداً لإنبات البذور ونمو الشجيرات وشيخوخة الأشجار وما تسببه من قلة إنتاج الثمر وعقم بذورها في بعض الأحيان.

ونظراً لأهمية شجرة الطلح في الموروث الشعبي الصحراوي على المستوى البيئي والدوائي والاقتصادي، تستوجب التعريف بهذه النبتة الصحراوية الأصلية وأهميتها، وما تعرفه من تحدي البقاء في مواجهة الطبيعة الصحراوية القاسية فهي نوع من الأشجار تنتمي إلى القبيلة الطلحية التي تضم حوالي 600 نوعاً منتشرة في أنحاء العالم. ويعتبر الطلح الصحراوي أهم مكونات البيئة النباتية بالمنطقة. حيث يمتد من منطقة الريصاني إلى أدرار سطف بالداخلة والسفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصغير بحيث تبلغ مساحة انتشار أشجار الطلح بالمغرب إلى 1,264,800 مليون هكتار وفي جهة الداخلة واد الذهب إلى 594 ألف هكتار. ونظراً للارتباط الوثيق لأشجار الطلح بالبيئة الصحراوية فقد شكلت الشجرة بالنسبة للصحراويين الظل والدواء والكأ على طول الزمان.

إن هذه شجرة الطلح تغطي على مستوى الجهات الجنوبية الثلاث مساحة تقدر بأزيد من مليون و28 ألف و300 هكتار، وذلك بمعدل يفوق 80 شجرة في الهكتار الواحد، موزعة على 434 ألف و300 هكتار بجهتي كلميم- واد نون والعيون-الساقية الحمراء و594 ألف هكتار بجهة الداخلة-وادي الذهب⁴.

ومن مميزات شجرة الطلح، التي تنتمي إلى الطبقة البيو-مناخية الجافة والصحراوية مع درجة حرارة معتدلة إلى حارة، كونها مرشدا للإنسان الذي يعيش في البيئة الصحراوية في تحديد الاتجاهات الجغرافية، حيث أن هذه الشجرة تكون في غالب الأحيان منحنية نحو الواجهة الجنوبية ولذلك يعتمد عليها في تحديد باقي الاتجاهات.

خريطة رقم 2: مساحة شجر الطلح بالجنوب



وتعتبر هذه الشجرة عاملا أساسيا، ضمن العوامل المساعدة في المجال الصحراوي، في محاربة التصحر والمساهمة في التوازن الإيكولوجي في الوسط المناخي الجاف وذلك

وتصل شجرة الطلح إلى كامل نموها في 30 عاما ثم تبدأ بعد ذلك في التدهور. وتتكاثر أشجار الطلح غالبا بالبذور ويتراوح ارتفاعها من 5 و10 متر ولها فروع متجهة إلى الأعلى وأوراقها ريشة يحمل النبات أشواكا طويلة وقوية وصلبة ذات لون أبيض، يحمل النبات أزهارا صفراء زاهية وثمارا قرنية يصل طولها إلى 15 سم. تحمل بداخلها عدة بذور تشبه إلى حد ما بذور الفاصوليا لكن لوها بني تسمى البذور بالقرضي

تتأثر النباتات الصحراوية بالحرارة وجفاف الأرض وتسعى للحصول على شيء من الماء القليل المتوافر في أماكن وجوده، ثم لاتعيش منها سوى بعض النباتات التي أخذت كفايتها من الماء، ولذلك تكون الثغرات واسعة بين نبتة وأخرى، وتذبل النباتات التي لم تحصل على الماء الكافي، فبعض النباتات تمتص الماء من المياه الجوفية، ففي أمريكا مثلا، يوجد شجر المسكيت الذي يمتص الماء على عمق 12 م، تحت الأرض، وأشجار أخرى تحتزن كميات من الماء في أوراقها وجذورها وجذوعها، مثل نبات الصبار ليحتفظ بماء الأمطار فينتفخ ساقه، فإذا جف الماء منه يتقلص وينكمش. وتبقى بعض النباتات يانعة بعد هطول الأمطار لفترة قصيرة بفضل الماء المخزون في أوراقها وجذوعها. تستهلك الأوراق كثيرا من الماء. فإذا سقطت يتوافر الماء للجذع، وهناك أشجار أخرى لها أوراق دقيقة جدا، فلا تستهلك إلا قليلا من الماء المتوافر في الجذع، وتبقى النبتة يانعة بين موسمين من الأمطار. وبعد سقوط الأمطار، تفتح الأزهار بألوانها الزاهية، وتورق الأشجار وتخضر، فتصبح مساحات الصحراء جميلة، ثم لاتلبث الأزهار أن تذبل بعد توقف الأمطار.

4. حسب المديرية الجهوية للمياه والغابات للجنوب

بالنظر إلى ما تتميز به من خصائص، حيث تكتسي أهمية بالغة في الغطاء النباتي والغابوي بهذه الأوساط⁵.

ومن بين مميزات هذه الشجرة توفرها على جذور تغوص في الأرض إلى عمق قد يصل إلى 40 مترا مما يساعدها على مقاومة الجفاف وتصدي أغصانها ذات الأشواك الطويلة والصلبة للرياح القوية لتساهم بذلك في الحد من زحف الرمال.

وتساهم هذه الشجرة، التي تنتمي إلى فصيلة القرنيات وتوفر على وريقات دائمة الاخضرار، والتي يمكن أن تعمر لأكثر من 100 سنة، في الحد من تبخر المياه والتأقلم مع الظروف المناخية الجافة وشبه الجافة.

كما تساهم شجرة الطلح، التي يتراوح طولها ما بين 2 و4 أمتار، في توفير الظل والكالسيوم للماشية والمراعي للنحل كما تستعملها الحيوانات البرية كماوى وملجأ للتكاثر، وتستغلها بعض الطيور في إقامة أوكارها.

وتزود هذه الشجرة، التي تنتشر في السهوب الصحراوية، وتنمو على تربة غرينية رملية، السكان المحليين بحاجياتهم من الحطب وتستعمل قشور جذوعها في دباغة الجلود، كما تشكل أوراقها وثمارها التي تبدو على شكل قرن ممددة أو مسطحة وكذا بذرتها ذات اللون البني مصدرا لاستعمالات طبية تقليدية محلية.

من جهة أخرى، اتخذت المديرية الجهوية للمياه والغابات ومحاربة التصحر للجنوب عدة إجراءات لإعادة الاعتبار لهذا النوع الأيكولوجي الهش من بينها، على الخصوص، تجديد 5400 هكتار من غابة الطلح و460 هكتار من غابة الأركان منذ سنة 2005 ومحاربة زحف الرمال من خلال تثبيت الكثبان الرملية على مساحة 700 هكتار وخلق أحزمة خضراء حول المدن الكبرى والتجمعات السكنية على مساحة 974 هكتار فضلا عن إنجاز مشاريع تروم ترميم التنوع البيولوجي والمحافظة عليه وخلق فضاءات للترفيه والاستجمام.

وفي إطار انخراط المجتمع المدني في الحفاظ على البيئة والاهتمام بالثروة الطبيعية وحمايتها من الاستغلال الجائر والمفرط بتنسيق مع القطاع الوصي، جعلت جمعية الطلح للماء والبيئة بالعيون التي أحدثت سنة 2005 كإحدى الجمعيات المهمة بهذا المجال، من بين أهدافها القيام بأنشطة تحسيسية لحماية شجرة الطلح وكذا تنظيم رحلات وندوات علمية للتوعية بأهمية هذا المورد الطبيعي.

وتبقى برامج التوعية والتحسيس ومحاربة الاستغلال العشوائي لشجرة الطلح إلى جانب تكتيف عمليات الغرس وتعزيز البحث العلمي حول مزاياها وفوائدها خصوصا في مجال الطب الشعبي الصحراوي أمرا ملحا من أجل ضمان بقائها والحفاظ عليها، كونها تمثل شكلا من أشكال التلاؤم

⁵. بناني عثمان، حول صحراء المغرب بين الماضي والحاضر، مؤلف الأقاليم الجنوبية المغربية: البيئة والمجتمع وأفاق التنمية، منشورات الجمعية المغربية للجيومرفولوجيا، 2006.

وكما لاحظنا خلال الجولة، التي قمنا بها لمجموعة من المناطق، فإن العوامل الأولى التي باتت تهدد حياة هذه الأشجار وغيرها، هي تلك المرتبطة بالحياة اليومية للإنسان، الذي يعتمد على هذه الأشجار في الطبخ وجميع الأمور المتعلقة بالنار، فضلا عن غياب إرادة من قبل المسؤولين المكلفين بالقطاع الغابوي لردع كل من سولت له نفسه التلاعب بالغابة أو قطعها.

صورة رقم 2: شجر الطلح والعامل البشري



ان غياب إدارات المكلفة بحماية شجر الطلح سيساهم بشكل كبير في إلحاق الضرر بهذه الأشجار، التي بدأت أياد خفية في قطعها، ضاربة بعرض الحائط كل الاتفاقيات التي تدعو إلى ضرورة حماية المجال الغابوي وحماية

والتأقلم مع المعطيات الإيكولوجية الصعبة للمناطق الصحراوية وأداة فعالة لمحاربة التصحر وإعادة الحياة الطبيعية في الأوساط الصحراوية.

صورة رقم 1: شجر الطلح



رغم كل ما ذكرناه من الفوائد التي اجتمعت في شجر الطلح، فإن الدولة لم تول هذا النوع من الأشجار الأهمية التي يستحقها للحفاظ عليه من الانقراض. كما أن العامل البشري له نصيب كبير أيضا من المسؤولية، باعتباره المسؤول الأول عن قطع هذه الأشجار وغياب وعي لديه من أجل الحفاظ عليها من الانقراض.

القوى الحية بالمغرب وجميع القطاعات الرسمية إلى ما تتعرض له من تدمير لمنظومة إيكولوجية وبيولوجية مهمة.
الصورة رقم 4: شجر الطلح بمدينة العيون



وبالنظر إلى وجوه مساحات تقدر بألاف الهكتارات من الأراضي التابعة للجماعات السبلالية والمتنازع عليها بين القبائل والتي لم يسبق لأي من القبائل استغلالها في الزراعة، لبد من استغلالها هذه الأراضي وغرس الطلح فيها، خاصة في الأماكن التي يمكن تسجيل فيها نسبة منخفضة من المياه. فهذه المناطق القاحلة التي تتميز بمناخها الصحراوي وقلة التساقطات المطرية يمكن أن تصبح مناطق خضراء بإعادة غرس أشجار الطلح الذي لا يحتاج إلى الكثير من الماء ويستطيع

الأشجار، وتصنف الطلح ضمن الأشجار الطبية المعروفة، نظرا لأن هذه الشجرة لها جميع المواصفات التي تؤهلها لتكون من الأشجار المصنفة وطنيا، والقوف على الأسباب الحقيقية وراء تراجع عددها مقارنة بالسنوات الماضية قصد إيجاد حلول معقولة لحمايتها من الانقراض.

الصورة رقم 3: الطلح كتر بيئي يقاوم قساوة الإنسان والطبيعة في الصحراء



تعد شجرة الطلح ثروة إيكولوجية ذات أهمية سوسيو-اقتصادية، يتعين المحافظة عليها وحمايتها من مظاهر الاستغلال المفرط من قبل الإنسان والحيوان على حد سواء. فطلح من الأشجار المصنفة ضمن الثروة الإيكولوجية والثروة الطبيعية الوطنية، مؤكدا أن هذه الشجرة بدأت تسير نحو الانقراض بسبب جشع الإنسان بالدرجة الأولى؛ ما يجعل حمايتها أمرا ملحا وضروريا قبل فوات الأوان.

إن هذه الثروة الإيكولوجية تدل على العمق الحضاري للصحراء المغربية سواء في الجنوب أو الجنوب الشرقي، وتعتبر جزءا من هويتها البصرية والتاريخية، كما أنها شكلت مصدر الغطاء الأخضر على مر التاريخ وثروة بيئية وجمالية تعود إلى قرون من الزمن، فهذا النوع من الأشجار يجب الترافع محليا وجهويا ووطنيا بمدف لفت انتباه جميع

بسبب الطلب المتزايد على هذه المادة من قبل الإنسان نظرا لجودته واستعماله في تحضير الشاي الذي يعتبر تناوله عادة يومية بأقاليمنا الجنوبية.

ومن التحديات أيضا التي تواجه بقاء شجر الطلح بالمنطقة، تعاقب سنوات الجفاف، وقلة التجديد الطبيعي والرعي المفرط الذي يضع حدا لإنبات البذور ونمو الشجيرات وشيخوخة الأشجار وما تسببه من قلة إنتاج الثمر وعقم بذورها في بعض الأحيان.

* خاتمة

تمثل شجرة الطلح قيمة متأصلة في الأقاليم الصحراوية سواء في جنوبها وجنوبها الشرقي، وتحظى بمكانة مهمة لدى الساكنة المحلية باعتبارها كترا بيئيا ذا أهمية ثقافية واقتصادية وطبيعية كبيرة، ونظرا للأهمية التي تكنسها هذه الشجرة منذ القدم وقدرتها على مقاومة الجفاف والتغيرات المناخية، فإنه بات من الضروري إدراجها ضمن قائمة المحميات من طرف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "يونسكو"، على غرار باقي الأشجار من الأرز والأركان، لأن إدراج غابات الطلح في قائمة محميات "اليونسكو" سيعطي لهذا النوع من الأشجار قيمة إضافية ويفرض على إدارات المياه والغابات القيام بحمايتها من الاجتثاث والاستغلال المفرط، فطلح تعرض في السنوات الماضية إلى الاستنزاف بطريقة لاعقلانية؛ مما أدى إلى نقص عددها، وأصبح مهددا بالزوال إن لم تتدخل السلطات المعنية لحمايته.

وكذلك لكونه يمثل ثروة وطنية وإرثا تاريخيا وكترا حقيقيا يلزم الجميع حمايته والتدخل بجميع الأشكال من أجل تنميته وتطويره ليكون رافعة اقتصادية وطنية، وإمكان جعل

التكفل به احتياجاته الخاصة في الماء عبر البحث بواسطة جذوره، فغرس أشجار الطلح في مناطق عديدة يمكن أن يساهم في التوازن البيئي والإيكولوجي والمساهمة في خفض نسبة قلة التساقطات المطرية مستقبلا، بالإضافة لحل هذا الإشكال أيضا ويمكن تخصيص بعض عائدات الطلح مستقبلا لفائدة صناديق الجماعات السلالية لإنجاز بعض البرامج التنموية. فأشجار "الطلح" متناثرة على طول الشريط الصحراوي، الرابط بين مدينة العيون والسمارة، أشجار طويلة وأخرى قصيرة، تبدو من بعيد متساوية، مثل أسنان المشط، منها الخضراء الناصعة، والصفراء، التي ذبلت بفعل التقلبات المناخية، فجلوس الصحراويين تحت ظل الأشجار، بحثا عن البرودة، جعل الخبز والمهتمين يضيفون إلى رصيدهم المعرفي أن هذا الشجر يمتاز ببرودة لا مثيل لها، وهو بالنسبة إلى الصحراويين في حرارة الشمس الحارقة بديل لجهاز التكييف. وسط الأدغال والرمال الذهبية، توغلت السيارات، بحثا عن شجر الطلح، وإجراء دراسة علمية تحليلية، من أجل الوقوف على مزاياه ومنافعه..

فالطلح، الشجرة التي ترمز للصحراء والسفانا الإفريقية، بتاجها المظلي المميز، وبقامتها الفارعة والشامخة وقدرتها الهائلة على البقاء. شجرة ارتبطت بالموروث الصحراوي وبحياة الإنسان البدوي في حله وترحاله، رمزاً للبيئة الصحراوية والأصالة البدوية، إلا أن يد الإنسان وتقلبات المناخ ساهمت في أن تصبح مساحة كبيرة مرتبطة بهذه الشجرة في بيئتها الأم.

يعد القطع الجائر من طرف الإنسان سببا رئيسيا في نذرة شجر الطلح، فقد أصبح تحويل أشجار الطلح إلى فحم (التفحيم) عملا رئيسيا لبعض الشباب العاطلين بالمنطقة

الطلح مصدر دخل لميزانيات الجماعات الترابية المعنية خاصة في حالة حمايته وتثمينه.

* المراجع

محمد الطيلسان 1999، هضبة زعير الغربية وساحلها: التكونات السطحية وتطور الوسط الطبيعي مند النيوجين. اطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافية جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط.

عبد الكبير الناوي- ناجية وردي - فاطمة الكرز بحث الماستر "دراسة مناخية لمحطتي العيون والواحة سنة 89\ 90.

عبد العزيز فعرس: الماء والتنمية الحضارية في المجال الصحراوي، حالة مدينة العيون الساقية الحمراء. بحث الدكتوراه.

رشيدة نافع وقاسم حمادي: 2000 دينامية خط الساحل. عبد الرحيم وطفة، محمد طيلسان، محمد دحماني 2007ن وقع مشاريع التنمية على مورف ودينامية المجالات الساحلية الأطلنطية. اعمال الملتقى الجغرافي المغاربي التاسع حول الديناميات الحديثة في المجال الساحلي المغاربي،

بناني عثمان: حول صحراء المغرب بين الماضي والحاضر، مؤلف الأقاليم الجنوبية المغربية: البيئة والمجتمع وأفاق التنمية، منشورات الجمعية المغربية للجيومرفولوجيا , 2006.